# الآثار الرومانية بحواف الصحراء الجنوبية الشرقية وأهميتها في تدوين تاريخ علاقة الرومان بالمنطقة الصحراوية

أ/محمد شرعي بن معيزة

قسم العلوم الانسانية– جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

**********

## أولا مدخل:

درج مؤرخو الدراسات القديمة في دراستهم للتواجد الروماني بالجزائر على اعتبار أن استيطان الرومان تركز بشكل واضح في المناطق الساحلية، والداخلية، وذلك تبعا لأهمية المنطقتين في توفير المواد الزراعية الأساسية ،والتي كانت دافعا أساسيا في احتلالها؛ ونذكر خاصة الزيتون، والحبوب. وقد مثلت منطقة السهوب المتاخمة في حدودها الجنوبية لحواف الصحراء الشمالية، منطقة تماس بين مناطق الاستيطان الروماني ،وأقاليم القبائل الصحراوية. وبما أن هذه المناطق السهبية قد وفرت الحبوب للمستوطنات الرومانية؛ حيث ذكر الكثير من الباحثين أن ثلثي الاحتياجات الرومانية من هذه المادة كانت تأتي من الشمال الإفريقي، خاصة من نوميديا[1]، لذلك سعى الرومان لتأمينها، ومحاولة مد نفوذهم إلى التخوم الصحراوية، ونلمس ذلك بجلاء من خلال الآثار التي خلفوها على طول هذه

1-Jacques Gascou:**La politique municipale de l'empire romain en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime-Sévère**, école française de Rome, palais Farnèse, Rome 1972,p41.

التخوم، وهذا ما سيكون محور هذه المداخلة، في سبيل إبراز أهم هذه الآثار، والوقوف على أهميتها الاقتصادية، والأمنية، كشاهد على طبيعة العلاقة بين الرومان والمنطقة الصحراوية في العصر القديم.[1]

## ثانيا –نماذج من بقايا الآثار الرومانية بحواف الصحراء الشرقية:

ارتبط ظهور هذه المخلفات الأثرية الرومانية في هذه المنطقة الواقعة جنوب منطقة الهضاب العليا، خاصة الإقليم النوميدي، بسياسة الرومان خلال العهد الإمبراطوري الأول في القرن الثاني الميلادي، عندما عمل هؤلاء على توسيع الليمس النوميدي جنوب منطقة الأوراس، لمعاضدة الليمس الشمالي. وعموما فقد شمل الأطلس النوميدي الجنوبي مناطق عديدة، منها القنطرة، قصر سيدي الحاج، هنشير سلاوين، الوطاية القصبات، نغرين، حمام شارف، المعذر، عين زانة، العروق، وزراية، وقد مكنت سياسة التوسع الرومانية، خاصة في عهد الإمبراطور سبتميوس سيفريوس[2] وأولاده، من السيطرة على مناطق جديدة، حيث أصبح الليمس يمر ببسكرة(Vescra)، تهودة( Castellum Dimmidi)، والدوسن[3] . ويمكن ملاحظة ذلك بجلاء في الملحق رقم واحد.

2– من بين الدراسات التي تناولت آثار التوسع الروماني مقالة محمد البشير شنيتي:'التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية"،مجلة الأصالة،عدد41،الجزائر ،محرم 1397هـ/جانفي1977م.

[1] هو **لوسيوس سبيتيموس سيفيروس أوغسطس** الامبراطور الروماني الحادي والعشرون 193م–211م.

[1] تم انجازه في القرن الأول الميلادي ،وقد شمل عدة مناطق،حيث يمر بتبسة،خنشلة،حمام الصالحين،عين الزوي،تيمقاد،تازولت،وقد أطلق على هذا الجزء اسم النظام الدفاعي لمنطقة الأوراس، وشمال هذه الأخيرة يمر بقسنطينة،عين فوة،شطابة،واد العثمانية،عين الكرمة،نميلة،وبرج القصر.أنظر،عبد القادر صحراوي:**التحصينات العسكرية بنوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني 46م284م**،دار الهدى،عين مليلة،2011م،ص21م،

والملاحظ من خلال خريطة الملحق سالف الذكر فإن هذه المخلفات تمثل خط دفاعي من الحصون والقلاع، والأودية والجسور، التي اتخذها الرومان كحاجز دفاعي، ضمن سياسة ممنهجة لضمان بقاء وأمن الوجود الروماني بالمستوطنات الرومانية شمال هذه المنطقة. ومن بين العينات الأثرية التي يمكن تناولها في هذا المجال ما يأتي:

**أ. آثار منطقة طبنة:**

إن الدراسات الأثرية للمخلفات القديمة لا تخضع بالضرورة للتقسيمات الإدارية الحديثة، والمعاصرة لأن تحديد المجال الجغرافي للمستعمرات والمستوطنة القديمة كان خاضعا للأعراف الاعتبارية للسياسة المحتل، ولذلك مثلت بعض المناطق مداخل وبوبات للصحراء في عرفه، ومخططاته. ومن هذا المنطلق كانت منطقة طبنة (Thubunensis) التابعة لبريكة حاليا تماس متداخل مع آثار الصحراء الشمالية الشرقية لمنطقة الزاب، حيث أصطلح على تسميتها قديما بعاصمة الزاب، الذي يمتد إلى حوالي 50 إلى 60كلم في

اتجاهي الشمال والجنوب، وإلى حوالي 200كلم شرق مدينة بسكرة وغربها. وتم تشييد المدينة في أواخر

القرن الثاني الميلادي، وعرفت باسم Thubunae أو Tubonis الروماني. وقد كانت المدينة منشأة عمرانية رومانية، ورد اسمها في النصوص التاريخية القديمة للمؤرخ بلنيوس الأكبر في مؤلفه التاريخ الطبيعي تحت اسم tuben oppidum أي المدينة المحصنة. وقد أنشئت المدينة على بعد 4كلم جنوب شرق بريكة الحالية في وسط طريق يربط بين الصحراء جنوبا وسهول التل المرتفعة شمالا، وقد شيد حصن طبنة بهدف حماية

المستعمرات الرومانية في المنطقة التلية الشمالية من غارات القبائل الصحراوية،وكان ذلك في عهد الإمبراطور سيبتم سيفيروس Septime Severes سالف الذكر، وجعلوها ملحقة لروما تتمتع بكل حقوق المدنية الرومانية[1].

والملاحظ أن ما بقي من آثار بهذه المنطقة هي عبارة عن صخور ضخمة لمباني وحصون، فضلا عن طرق قديمة مرصفة شبيهة بأرضية منطقة تيمقاد، فضلا عن مباني مهشمة أسفل السطح. وقد كان لعامل الزمن والمؤثرات الطبيعية، فضلا عن إهمال الإنسان وقيامه بتشييد منشآت عمرانية على بقايا هذه الآثار أثر بارز في اندثار العديد من معالم هذه المدينة الأثرية، كما هو ملاحظ في الصورة[2].

[1] Batnainfo.comlAr، يوم الثلاثاء 07نوفمبر2016م،الساعة الثامنة صباحا.

[2] tobnabarika.blogspot.com يوم الثلاثاء 07نوفمبر2016م،الساعة الثامنة صباحا.

**بآثار منطقة القنطرة:**

تقع منطقة القنطرة شمال بسكرة على بعد 54كلم منها، وهي تمثل همزة وصل بين المنطقة التلية والمنطقة الصحراوية ،وعرفت في العهد الروماني باسم كالكيوس هركلوس Calceus Herculis أي قدم هرقل. ويرجح العديد من الباحثين بناءها في العهد الروماني، حيث تم فتح ممر عبر الجبال وبناء جسرها الشهير[1]، والذي أعيد تصميمه بالكامل أيام الاستدمار الفرنسي سنة 1862م تحت حكم نابليون الثالث . وبالإضافة إلى هذا الجسر الذي لا تزال بعض معالمه قائمة ،فإن الرومان قد شيدوا بالقنطرة عدة منشآت عسكرية، منها المعسكرات، والأبراج...الخ. ويقع معسكر(Castra)القنطرة على الضفة اليمنى للواد بين واد مسعود وواد سيوانة ، وقد شيد في حكم الإمبراطور تراجانوس (Trajanus) وقد عسكرت بهم فرزة من كتيبة أوغسطس الثالثة، وتم تدعيمها في عهد الإمبراطور كومودوس بفرق

عسكرية أخرى مدربة على البيئة والطبيعة الصحراوية ،مثل الوحدة الاثنية البالميرية،وفيلق مشاة الكوماجينييس السادس.أما بالنسبة للأبراج فقد عثر بمدخل قلعة زبارة الطير بالقنطرة على برجين مستطيلين مائلين إلى الخارج ،وستة أبراج عند الزاوية،وكان الهدف من كل ذلك مراقبة الليمس النوميدي[2].

[1] عبد القادر صحراوي:مرجع سابق،ص136،

جسر القنطرة

صورة أخرى لجسر القنطرة

ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى أن كثير من مخلفات الرومان بالمنطقة أصبحت عبارة عن بقايا حجرية كما هو ملاحظ في الصورتين المواليتين[1].

[1]- مرجع الصورتين www.wilayabiskra،dz/ El-Kantara، يوم السبت05نوفمبر2016م،الساعة الثانية زوالا.

**ج آثار منطقة بسكرة المدينة وأحوازها:**

من بين المنشآت الرومانية الهامة بالمنطقة معسكر القصبات(Gemellae) بمنطقة أورلال الذي يمتد على هضبة تشرف على الضفة اليمنى لواد جدي ،ويراقب الطريق المؤدي من القنطرة إلى ساقية بنت الأخرس،ويبلغ طوله حوالي 190م،وعرضه حوالي 150م،بينما يقدر سمكه بحوالي 2.75م، ويحتوي على أربعة أبواب وأبراج محصنة، كما عثر فيه على كنيسة صغيرة وعشرة غرف مستطيلة الشكل وحمامات .ونظرا لأهميته على الليمس النوميدي أقامت فيه القيادة العسكرية الرومانية قبل بناء المعسكر الكبير بتازولت. ومن التسمية الرومانية سالفة الذكر فقد عرفت منطقة القصبات بجميلة الصغيرة[1].

ومن بين المناطق الأثرية الهامة بالمنطقة منطقة تهودة(Thabudeos) التي تعود إلى الفترة الرومانية وتقع على بعد 6كلم شمال دائرة سيدي عقبة،وتم ذكرها في العديد من المصادر حيث ذكرها المؤرخ بلين تحت اسم تبوديوم أوبيدوم( Tabudium oppidum)،ومن المحتمل أن تكون هي ثبوسين التي وضعها بطليموس على بعد 12ميلا شرق بسكرة(فيسكرا Vescera).وقد أقام بها الرومان العديد من المنشآت العسكرية والمدنية؛ كالحصن ،والقلعة الرومانية، فضلا عن المحاجر، وقناة لنقل المياه...الخ.وقد أخذت المدينة دورها الفعال في هذا العهد نظرا لدورها في حماية الحدود الجنوبية للإمبراطورية الرومانية نظرا لوقوعها ضمن سلسلة من المدن المحصنة ضمن سلسلة

[1] عبد القادر صحراوي:مرجع سابق،ص40

نظام الليمس النوميدي، ولكن مما يؤسف له الخراب والدمار الذي حل بجزء كبير من آثارها[1].

ونظرا للدلالة العسكرية لليمس فقد كثرت المعسكرات والأبراج بهذه المنطقة، منها معسكر تهودة السابق، ويوجد بالقرب منه معسكر قريرة، والذي عثر بزاويته الجنوبية الغربية على بناية عسكرية، بالإضافة إلى معسكري بسكرة(Vescera) والدوسن والذي حدد الباحث كاركوبينو (Carcopino)أبعاده بحوالي 108م 98x وهو حسب هذا الأخير ذو زاوية قائمة ،وبه حمامات، بينما يرى ستفان قزال (Gsell) أن أبعاده تتمثل في 8 ،3م 50xم،وهو يحتوي على أبراج على الزوايا وحمامات[2].

وفي ختام الحديث عن هذه الآثار بهوامش الصحراء يجب التنويه أنها غيض من فيض ،لأن المنشآت الرومانية كثيرة ومتعددة، وفي مناطق مختلفة، ومن ذلك مثلا آثار منطقة باديس(بادس) الواقعة على واد العرب المنحدر من الأوراس ،وكانت عبارة عن منطقة زراعية ،ومركز عسكري هام على الطريق الروماني الجنوبي، ولاتزال بقايا السدود وقنوات المياه ماثلة للعيان، منطقة نغرين(Ad Majores) جنوب تبسة عند مدخل الصحراء الجنوبية الشرقية، وهي منطقة لا تزال العديد من معالمها الآثرية ماثلة[3]

**ثالثا –الدلالات التاريخية للآثار الرومانية بهوامش الصحراء:**

[1] رابح حاجي ياسين:' المسح الأثري بموقع تهودة وضواحيه"،**مجلة آثار**،عدد11،معهد الآثار،جامعة الجزائر،السنة 2014،ص ص36-38،

[2] عبد القادر صحراوي:مرجع سابق،ص ص53-54.

[3] محمد البشير شنيتي:**أضواء على تاريخ الجزائر القديم**،دار الحكمة،الجزائر 2003،ص113.

من خلال الصور والخرائط التي تبرز مجالا جغرافيا متناثرا ومتناسقا في نفس الوقت لهذه الآثار وذلك تبعا للغايات والأهداف التي من أجلها أقيمت هذه المنشآت في مناطق متعددة، ولكن ضمن خط واحد عرف بالليمس ،والذي شكل حزاما أمنيا على طول هوامش الصحراء إلى الجنوب من الولايات الرومانية الشمالية ،فما هي إذن الدلالات التاريخية للآثار وبقايا هذه المنشآت؟

- إن توزع هذه الآثار على طول هوامش الصحراء يبرز التواجد والانتشار الروماني في هذه المنشآت العسكرية أو الشبه عسكرية مما يعطي صورة واقعية لحقيقة التواجد الروماني ببلادنا، والذي تجاوز أحيانا حتى هذه الهوامش إلى الدواخل، من خلال آثار منطقة وادي سوف ،أو القرارة مثلا. وهذا يطرح عدة تساؤلات حول سياسة التوسع والاستيطان الروماني التي لم تقتصر على المنطقة التلية فقط[1]،وهذا ما هو واضح في الخريطة الموالية،ص10.
- إن طبيعة الآثار التي خلفت من هذه المنشآت سواء كانت قلاعا، أو أبراجا، أو حصونا، فإنها توحي بسياسة الرومان بالمنطقة والتي ارتكزت على السياسة الأمنية، وذلك بإقامة هذا الخط الدفاعي للفصل بين المستوطنات الرومانية والبدو، وهذا ما عبر عنه المؤرخ جون برديس (J.Baradez) بقوله:<إنه الليمس الذي يجسد الحد بين أراضي الإمبراطورية والبلاد التي لا يمكن للبرابرة تجاوزها>.وهذا ما يحد من خطر هجمات هؤلاء، ويسهل تدخل الجنود للتصدي لمختلف الثورات، حيث قال ترتليانوس:<إن الرومان عملوا على ألا تتجاوز شعوب المور، وبرابرة الجيتول الحدود المعينة لهم.>،وهكذا نجح الرومان في مراقبة تحركات البدو الرحل، وقلصت

[1] محمد البشير لشنيتي: **أضواء على تاريخ الجزائر القديم** ،المرجع السابق،ص ص102-103

من نشاطهم بعد أن حولت الكثير من مراعيهم إلى أراض زراعية، وطنت فيها رومان، ومحاربين قداما، وغيرهم من أنصارها[1].

- إن بعض المكتشفات الجديدة لباحثين جزائريين في عدد من المواقع كموقع بادس مكن من رسم صورة طبيعة الاستيطان الرومان بالمنطقة، حيث تمكن فريق البحث الأثري الذي قاده الدكتور رابح

حاجي حسين في ماي 2013م،حيث تم العثور على نقيشة نصب جنائزي لجندي في كتيبة رومانية يبلغ عمره 50سنة،وتكمن أهمية هذا الأثر في عدة جوانب، منها الجانب الاستراتيجي حيث يوحي ذلك بإمكانية وجود مركز وقلعة عسكرية، أما اجتماعيا فمن المرجح أن المنشأ كان يحوي العديد من قدماء الجند، وأما اقتصاديا فيبرز الاستيطان الزراعي بالمنطقة ، ومايتبعه من فرض ضرائب ونظام جمركي. وفي كل ذلك صورة لطبيعة الاستغلال الروماني، فضلا عن نمط التسيير [2]

- وليس بعيدا عما سبق فإن آثار الجسور، وقنوات الري، والطرق المرصفة، والتي لا تزال آثارها ما ثلة للعين تكرس الصورة الحقيقية للاستيطان الروماني بالمنطقة، من خلال سياستين مختلفتين سياسة التمدن الروماني للمستوطنات التي جلب لها قدماء الجنود والجاليات الموالية، وسياسة الحشر والإغلاق ضد القبائل البدوية التي تمت مصادرة أراضيها، وفرض الضرائب عليها، وطردها إلى مناطق الصحراء البعيدة. وبذلك نستنتج أهمية هذه المكتشفات الأثرية في رسم صورة الإنسان الصحراوي الجزائري في ظل الوجود الاحتلال الروماني.

---

[1] محمد الحبيب بشاري:**روما وزراعة المقاطعات الإفريقية بين 146ق.**م/285م،دار الهدى،الجزائر2015،ص ص298-299.

[1] رابح حاجي حسين:مرجع سابق،ص ص64-67..

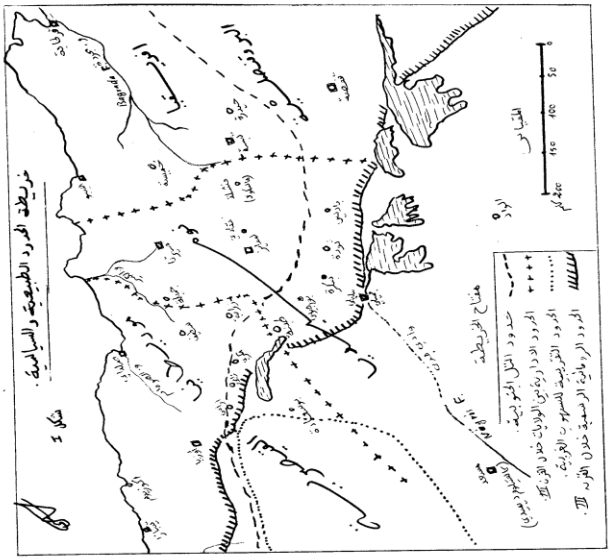


5

توضح الخريطة خط الليمس النوميدي على حواف الصحراء[1]

[1] محمد البشير شنيتي:'التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية"،مجلة الأصالة،المرجع السابق،ص5